فَـأَصْـبَـحَ فَـوْقَ الْـعَـالَـمِـيـنَ يَـرَوْنَـهُ
وَإِنْ كَـانَ يُـدْنِـيـهِ الـتَّـكَـرُّمُ نَـائِـيَـا[١]

أشخصاً لحت لي أم مخازيا

يهجو كافوراً وقد نظر إلى شقوق في رجليه:

[الطويل]

أُرِيـكَ الـرِّضَـا لَـوْ أَخْـفَـتِ الـنَّـفْـسُ خَـافِـيَـا
وَمَـا أَنَـا عَـنْ نَـفْـسِـي وَلَا عَـنْـكَ رَاضِـيَـا[٢]
أَمَـيْـنـاً وَإِخْـلَافـاً وَغَـدْراً وَخِـسَّـةً
وَجُـبْـنـاً أَشَـخْـصـاً لُـحْـتَ لِـي أَمْ مَـخَـازِيَـا[٣]
تَـظُـنُّ ابْـتِـسَـامَـاتِـي رَجَـاءً وَغِـبْـطَـةً
وَمَـا أَنَـا إِلَّا ضَـاحِـكٌ مِـنْ رَجَـائِـيَـا[٤]

= لديه، إنها الشجاعة والجود ونبل الأهداف التي يتمتّع بها كافور، فضلاً عن التوفيق الإلهي والحظّ الحسن.

(١) نائياً: بعيداً. لقد سبق كافور العالمين في مضمار المجد، فبعد عنهم أميالاً، ورغم ذلك فهو قريب إلى قلوبهم لدماثة أخلاقه ورقّته وحسن معاشرته لهم؛ إنها الأخلاق السامية والتواضع الجمّ.

(٢) الخافي: المستتر. إنه المقت والغضب والإحساس بالندم، فالشاعر يتظاهر بأنه راضٍ ممّا يُبديه كافور من كرم واحترام للمتنبي، وهو في الحقيقة بركان حقد يتآكل في أعماق نفسه، عن كافور وعن نفسه، وقد تبيّن له فداحة خطئه. والمرء يعتقد أن الشاعر لا يجرؤ على هجاء كافور في حضرته، وقد تكون القصيدة قد أُلّفت في مصر، ولكنها بقيت طيّ الكتمان حتى خرج من تلك الديار فأذاعها.

(٣) المين: الكذب. الإخلاف: إخلاف الوعد. المخازي، الواحدة مخزية: الشنيع من الأفعال القبيحة. جمع الشاعر كلّ رذيلة في كافور، كذب، وإخلاف وعود، وغدر، وخسّة في التصرّف، وجبن، حتى لقد احتار الشاعر ماذا يرى أمامه، هل يرى إنساناً أم يرى نقائص بشرية تجسّدت بمخلوق بشري؟ أين الإشادة بكافور؟ حتى رفعه فوق سائر البشر.

(٤) الغبطة: الفرح والسرور. للابتسامات ترجمات نفسية متعدّدة من بينها السخرية =

وَتُـعْـجِـبُـنِـي رِجْـلَاكَ فـي الْـنَّـعَـلِ إنَّـنـي
رَأَيْـتُـكَ ذَا نَـعْـلٍ إذَا كُـنْـتَ حَـافِـيَـا[١]
وَإِنَّـــكَ لَا تَـــدْرِي أَلَـــوْنُـــكَ أَسْـــوَدٌ
مِـنَ الـجَـهْـلِ أَمْ قَـدْ صَـارَ أَبْـيَـضَ صَـافِـيَـا[٢]
وَيُـذْكِـرُنـي تَـخْـيِـيـطُ كَـعْـبِـكَ شَـقَّـهُ
وَمَـشْـيَـكَ فِـي ثَـوْبٍ مِـنَ الـزَّيْـتِ عَـارِيَـا[٣]
وَلَـوْلَا فُـضُـولُ الـنَّـاسِ جِـئْـتُـك مَـادِحـاً
بِـمَـا كُـنْـتُ فـي سِـرِّي بِـهِ لَـكَ هَـاجِـيَـا[٤]
فـأَصْـبَـحْـتَ مَـسْـرُوراً بِـمَـا أَنَـا مُـنْـشِـدٌ
وَإِنْ كَـانَ بِـالْإِنْـشَـادِ هَـجْـوُكَ غَـالِـيَـا[٥]

= والخداع والأسف، والشاعر يعمد إلى نوع من تلك الأنواع التي تنمّ عن زيف المصانعة والأسف والندم لإقدامه على المثول بين يدي كافور على أمل أن ينال منه ما يبغي.

(١) يسخر الشاعر من كافور، يُبهجه أن يرى منظراً مثيراً للضحك، زنجيّ ينتعل نعلاً، وكأنه لم ينتعل حذاءً، فرجلاه قد تعوّدتا أن تكونا حافيتين، وهذا يتناسب مع طبيعة من اعتاد الحفي والمشي بلا نعال.

(٢) يعمد الشاعر إلى الطعن بكبرياء كافور، مركزاً على عملية وهمية تتمحور حول التجاهل، تجاهل الحقيقة المؤلفة لأصحابها، هل هو قد نسي لونه الأسود؟ أم أنه يتوهّم أن البياض حلّ محل سواد بشرته والشيء بالشيء يُذكر، فانتعال النعل لم يعتد عليه، فبدا فيه مضحكاً.

(٣) يرسم الشاعر صورة تنمّ عن ازدراء واحتقار وسخرية لكافور، لقد نظر الشاعر إلى مهجوّه وهو على تلك الصورة، فإذا بخياله يجمع إلى ماضي مهجوّه المعتم؛ لقد كان عبداً يُشترى ويُلاقي أنواعاً من المهانة والذلّ بحيث يعمل عند سيّده فيبيع له تجارته من الزيوت، ولذا فقد اصطبغ جلده مع مرور الزمن وتقادمه بذلك اللون.

(٤) و (٥) الفضول: تعرّض المرء لما لا يقصده. ينعى الشاعر على كافور جهله، ومع =

فـإنْ كُـنْـتَ لَا خَـيْـراً أَفَـدْتَ فَـإِنَّـنِـي
أَفَدْتُ بِـلَـحْـظِـي مِـشْـفَـرَيْـكَ الـمَـلَاهِـيَـا[١]
وَمِـثْـلُـكَ يُـؤْتَـى مِـنْ بِـلَادٍ بَـعِـيـدَةٍ
لِـيُـضْـحِـكَ رَبَّـاتِ الـحِـدَادِ الْـبَـوَاكِـيَـا[٢]

= ذلك فقد مدحه لعلمه أن في حاشيته من يفهم مقصده، وإلّا لعمد إلى هجائه وهو بين يديه، دونما إخفاء لمشاعره نحوه، وهو في كلّ حال يسمع ما يسمعه فيفرح به لأن شاعراً كبيراً يُنشده حتى لو كان ذلك هجاءً، فحتى الهجاء لا يستحقّه لأنه دون الهجاء.

(١) لحظي: رؤيتي. يُخاطب الشاعر مهجوّه بأنه لم يستفد منه بشيء البتة، سوى أنه سُرّ لرؤية مشفريه كأنهما نزعا من جمل وركبا في وجه، فبدا صورة مسخية مضحكة، وهذا ما أدخل شيئاً من العزاء على قلب الشاعر وأضحكه.

(٢) يروى «ربات الحجال» بدلاً من «ربات الحداد». ربات الحداد: الثاكلات اللواتي فقدن أعزّة عليهن فلبسن أردية الحداد السوداء. يخاطب الشاعر مهجوّه أنه مهزأة مضحكة مسلية، يُؤتى بها من بلاد بعيدة لندرته حتى يُدخل على قلوب الثاكلات اللواتي فقدن أعزّة عليهن البهجة والفرحة كونه هزأة مثيرة للضحك.